هكذا تتتالى الاسئلة لتعيد طرح المشكلة من جذورها ـ منذ ١٩٤٨ وقبل ذلك في كل العناصر التي ادت الى هزيمة ١٩٤٨ ـ ومن هنا نفهم هذا التمجيد لموت الاستاذ سليم على انه مات دفاعا عن القرية التي سقطت بسقوط المدافعين عنها (في اليوم التالي لموته) ـ وفي هذه البنية الروائية كما تتشكل في صيغتها الاخيرة ـ الاستفهامية ، الاستنكارية ، الداعية الى تفسير وفهم ما يحدث مرحليا وتاريخيا ، وفي ادانتها لجميع اشكال الموت الناتجة عن الانقطاع عن الارض والوطن ، ودعوتها عبر ذلك الى العودة والنضال لتحريرهما ، على انه في هذا التحرير يكمن الحل الفعلي لكل المشكلات المطروحة ـ او لمعظمها : وبالاخص لتلك المميتة بينها ـ ٠ وهذا ما يفسر بالتحديد اصرار غسان كنفاني على جعل عدد فصول روايته سبعة غير مكتملة (بالسؤال الذي يبقي الاخير مفتوحا ٠٠٠) (*) ٠ في هذا الاصرار يتبدى موقف كنفاني بالتحديد على انه رفض لبنية الموت السائدة ٠ ورفضه ليس مطلقا ، انما هو رفض واع ٠ اي انه يفهم حقيقة الواقع السائد على انه واقع الموت المرحلي والتاريخي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني ، وهذا ما تدل عليه الكلمات الثماني المستعملة في عناوين الفصول (**) ٠ لكنه يرفض الاعتراف بهذا الواقع ، وذلك عبر محاولة التفسير وفهم العوامل التاريخية والمرحلية التي يدعو اليها في استنكاره لاستمرار هذا الواقع وطرحه لاشكالياته ، وبالتالي ما يتضمنه هذا الموقف من دعوة للثورة عليه وتغييره ٠

وتأتي الاسئلة الاخيرة في روايته قرعا حادا للذاكرة والوعي في دعوة ملحاح لكل قارىء (وخاصة كل ناقد) (***) (ان يحدد موقفه من هذا الموت الفلسطيني والعربي انما بشكل اخر ٠٠٠) المرحلي المستمر ، في نفس الوقت الذي يرفض فيه هو هذا الموت انما معلنا في الان ذاته عن خطره اليومي : كأنه يدق هو ناقوس خطر يجثم ليوقف هذا الموت ويستعيد الحياة والحرية ٠ وقد يكون هذا الدق يفتقد الى بعض الدربة والتفنن وبالتالي يفقد بعض قوة تأثيره وفعاليته ، الا انه يحسن في كل الاحوال اعلان الموقف والدعوة الى التفكر فيه واتخاذ موقف منه ٠ من هذا الضعف الحديث عن عودة قيس الى المدرسة (٤٧ـ٤٨ ٠٠٠) بالرغم من تركه لها منذ عشر سنوات كما يوحي النص ٠٠ ـ كأن كنفاني يرفض مرور هذه السنوات العشر ؟! ـ وبعض الافتعال الوارد اثناء اللقاء بين ابي الخيزران والفلسطينيين الثلاثة ، خاصة في الحوار الذي ينتزع فيه اسعد التفاوض من مروان وابي قيس (٩٠) او في دمغ صوت اسعد بالهدوء ، وصوت مروان بالمفاجأة خلال الحوار اللاحق (٩٨ـ١٠٠ـ١٠١) ـ كأن كنفاني يصر على تقريب الرمز

(*) هي على التوالي : ابو قيس ، اسعد ، مروان ، الصفقة ، الطريق ، الشمس والظل، القبر ٠

(**) لا نعتقد اننا بحاجة هنا الى التذكير بالدور المميت بامتياز الذي يلعبه هذا العدد ٨ كما بينا ذلك آنفا ٠

(***) في هذا السياق تبدو دراسة الاجوبة ـ او التأويلات المختلفة ـ التي حاول النقاد ـ ولا نستثني انفسنا منهم ـ تقديمها على هذا السؤال الاخير في الرواية كبيرة الدلالة في تحديد المواقع الفعلية لهم والمواقف الحقيقية التي يتخذونها ازاء ما تطرحه الرواية من قضايا ٠٠ هذا مع استبعاد المباشرية الميكانيكية بالطبع ٠